القضية وثورته على الخطابية ، تحاول هي الاخرى ان تلقي ضوءا خافتا لكنه يصل الى هدفه . واذا كان محمود درويش ، في محاولته ، تجاوز تجربة شعر الارض المحتلة شكلا ومضمونا عبر مجموعتيه **العصافير تموت في الجليل** و **أحبك ولا أحبك** ، قد استطاع ان يلهب بعض الجراح فالتراث ــ معارك حطين ــ التي لعبت دورا تقدميا في الارض المحتلة ، تباع هنا في سوق الشعارات :

« نعرف القصة من اولها
وصلاح الدين في سوق الشعارات
وخالد
بيع في النادي المسائي
بخلخال امراة »

واذا كانت اللغة تكون محورا حولها تتشكل الشخصية القومية في داخل الارض المحتلة، فهذا لا يمنعها من ان تكون في الخارج جزءا من « حالة الاحتضار الطويلة » .

عندما يحاول شعر الارض المحتلة أن يتصدى لظاهرات تتجاوز مهمات النضال المباشرة، لظاهرات مخفية ، اي عندما يحاول اكتشاف العلاقات خلف العلاقات الظاهرة والمرئية، فانه يتساقط عند عتبة الدخول . يبقى في الخارج محرضا ومقاوما . لكنه لا يستطيع الدخول . قد يبدو الجواب على وجهة نظرنا جاهزا . فشعر الارض المحتلة أمامه مهمات مباشرة . انه مرتبط بحياة ربع مليون عربي . أخذ على عاتقه تحريضهم ضد الاحتلال ولا يستطيع ان يذهب بعيدا للبحث عن العلاقات الخفية . جوابنا ان هذا الادعاء نصفه صحيح ونصفه الآخر كاذب . انه ادعاء ماكر . فشعراء الارض المحتلة يعرفون جيدا مبلغ شهرتهم في جميع انحاء الوطن العربي . ويعرفون أن أثرهم التحريضي ــ في فترة صعود المقاومة المسلحة ــ كان اثرا كاسحا . فمسؤوليتهم اتسعت ولم تبق محصورة ضمن جدران السجن الاسرائيلي . لذا فهم عندما هربوا من الاجابة عن اسئلة حزيران المسننة فانهم شاركوا بشكل واع او لا واع في تبليد الذهنية العربية .

هـ ــ التراث الشعبي

كثيرا ما يلجأ الشعر الفلسطيني الى التراث الشعبي ، مستنطقا اياه مضامين جديدة . باحثا فيه عن الهوية الفلسطينية، عن شخصية الفلاح المتعلق بأرضه والمتشبث بجذوره. واذا كان درويش يقلل من تضمين شعره الحكايا الشعبية ، فان القاسم يستخدم التراث الشعبي استخدامه لرمز يلتقطه التقاطا ، مستعينا فيه ، على تكثيف رؤيته الشعرية ، وجعلها اكثر نفاذا وعمقا . الشعر الشعبي يشحن القصيدة بشحنة ارتدادية نحو الارض :

« لبنان ما لبنان
هالليل ذيب كبير
وشو بيعمل الانسان
غابة عا طفل صغير »(٢١)

اما توفيق زياد ، فان الاغاني والحكايا الشعبية ، تتحول عنده الى هاجس فني . فهو يغوص بعيدا في التراث ، مستلهما اياه ماضيا وحكايات وامثالا ، تصلح وقودا في المعركة المشتعلة . وبحثه هذا لا ينفصل في رأينا ، عن هاجس البحث عن مادة خام ، تصلح اساسا لشعر شعبي جماهيري ، يستطيع ان يغرس نفسه في ضمائر الناس. زياد ينتقي امثاله ، ويستخدمها استخداما حديثا . فهو حين يتحدث عن الاحتلال الاسرائيلي يسترجع مثلا شعبيا :